مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 22 العدد 1 السنة 2021 ص230 ص245
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

القصور الصحراوية .. قصر تاجموت انموذجا

The desert palaces.. Tadjemout Palace as a model

د. محمد بن سعيدان [1]
-الجزائر-
bensaidanemohamed7@gmail.com

تاريخ الاستلام: 16 / 02/ 2021 تاريخ القبول:13 / 12/ 2021

Abstract

The subject of the article is an attempt to investigate aspects of life in Tajmot Palace, through a source approach to its history, and to investigate the aspects that distinguished it. The emergence of the palace requires archaeologists to determine its history accurately, in the absence of source data, and this applies to other aspects of life, except for the Western trips that revealed the palace from the inside. As for the contemporary period - colonial in particular - the palace played an important role during the revolution Liberation, as it was an intersection point for the convoys of the Mujahideen coming and going towards the Al-Qa'dah Mountains, which prompted the colonizer to set up prisons and camps there..

المؤلف المرسل: بن سعيدان محمد

البريد الالكتروني: bensaidanemohamed7@gmail.com

Keywords: Tadjmout ; voyage ; palace ; colonialism ; revolutio

الملخص:

موضوع المقال هو محاولة استقصاء لجوانب الحياة في قصر تاجموت، من خلال مقاربة مصدريّة لتاريخ نشأته، واستقصاء الجوانب التي ميزته .

نشأة القصر قد لا تبدو بالسّهولة التي نتوقع، إذ الأمر يحتاج إلى علماء الآثار لتحديد تاريخها بدقّة، وذلك في ظل غياب المعطيات المصدريّة، وذلك ينسحب على الجوانب الحيواتيّة الأخرى، عدا ما كان من رحلات غربيّة تكشّفت القصر من الدّاخل، الأمر الذي يستدعي مزيد البحث والنّكت، واستدعاء علوم أخرى، قصد الخروج بفكرة عامة عن حيثيات القصر. أمّا ما تعلّق بالفترة المعاصرة -الاستعمارية خصوصا- فقد أدّى القصر دور مهمّا خلال الثورة التّحريريّة، كونه كان نقطة تقاطع لقوافل المجاهدين جيئة وذهابا نحو منطقة جبال القعدة، الأمر الذي حمل المستعمر على إقامة السجون والمحتشدات هناك .

الكلمات المفتاحية: تاجموت، الرحلة، بساتين، قصر ، الدرعي، وادي، العتيق، الموروث، الاستعمار، المقاومة، المحتشدات.

1. مقدمة:

ساهمت كتب الجغرافيا بشكل كبير في تتبع المسالك الجغرافية راسمة بذلك المعالم الكبرى لحدود الممالك، مشكلة رافدا جديدا للمعرفة التاريخية، من خلال اعطاء صورة ولو تقريبية لاقاليم الأرض وابراز التركيبة الجغرافية للإقليم الواحد.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

إضافة الى كتب الجغرافيا، لعبت كتب الرحلة دورا كبيرا في البناء المعرفي التاريخي خصوصا ذلك انها مكنت المؤرخين من الوصول الى الإمتداد الأفقي للدول، وادراك الواقع السياسي لها، ومن ثم رسم الإطار العام الذي تكونت واضمحلت فيه، هذا وتنبغي الإشارة الى نقطة غاية في الأهمية، وهي ان جل الرحلات العربية انما كانت عارضة وليست هدفا في ذاتها – عدا رحلة ابن الدين - فالرحالة الذين وصفوا البلاد كانوا حجّاجا، رسموا خلالها البلدان التي كانت طريق رحلتهم، وبهذا فإنهم في الغالب يصفون المناطق المحاذية لطريقهم وصفا عاما دون ان يكلفوا انفسهم عناء الدخول الى تلك البلدان، ثم انهم غالبا -ان لم نقل دائما- ما يدونون رحلاتهم بعد عودتهم من سفريتهم، وبالتالي يكون وصفهم للمناطق التي زاروها من ذاكرتهم، وهنا يمكن ان يعتريهم النسيان، أو تختلط عليهم مسالك تلك المناطق فيكثر اللغط ليس في رسم المسالك وانما في وصف البلدان، وقد يميل الكثير منهم إلى الإختصار فتصعب بذلك الإحاطة بدقائق التفاصيل المهمة في وصف البلد.

والرحلات التي سنتكلم عنها خصوصا، والمتعلقة اساسا بموضوعنا، هي تلك التي مرت بمدينة تاجموت، خلال تلك الرحلة قام القائمون عليها بوصف كور الأغواط وأحوازها، وتعرضوا الى تاجموت باعتبارها من كور الأغواط، غير ان الملاحظة الغالبة على متتبع تلك الرحلات هي شح المعلومات عن تلك المدينة، وذلك راجع كما سبق واشرنا الى طبيعة المسالك التي سلكها الرحالة، والتي غالبا ما تجانب ذلك البلد، فتختصره اشد الإختصار، وتطرحه في صورة تجعل الباحث امام عقبات كبرى نتيجة شح المعلومة، وبالتالي فهي بالقدر الذي تفيد فإنها تعيق، تفيد بالإشارة للبلد، وتعيق بالتوقف عن بسط دقائق عمرانه وعيش اهله، حتى يستجلي القارئ ويرسم صورة متكاملة عن تاجموت.

ولهذا تجدنا نستأنس بالرحالة الغرب، أو الإستدماريين الذين كان لهم صول وجول فيها، فكانت اوصافهم لتاجموت عن قرب، وكانت رحلتهم مقصودة بالفعل لغرض الرحلة -ومعها المشروع الاستعماريّ- ولم تكن عرضا.

وبذلك فإن العقبة المتعلقة بالرحالة العرب الذين لم يزوروا تاجموت لكنهم وصفوها عرضا، هي أول ما اعترضنا أول البحث وآخره، فلم نقف على وصف دقيق لتاجموت، ولم نجد من الرحالة من دخلها وتلقف حيثياتها أيامها إلا النزر اليسير منهم، فتراهم يصفونها من بعيد، أو بواسطة من اعترض طريق رحلتهم من سكانها للتجارة.

وقد وجدنا في ذلك الإختصار تحديا لإعادة بعث صورة تاجموت على الشاكلة التي رسمها الرحالة، وذلك من خلال مقارنتها بعضا ببعض، والوقوف على مواطن النقص في رحلة بما يتممها في اخرى.

وقد حاولنا في بحثنا هذا استشكال مختلف جوانب الحياة في قصر تاجموت، محاولين استجلاء موقعية القصر في العصرين الحديث والمعاصر، من خلال بيان نشأته، واستقصاء الجوانب المعمارية الاجتماعيّة، الاقتصادية، والثقافية فيه، وصولا إلى دوره إبّان الفترة المعاصرة، وما كان من الاحتلال الفرنسي للمنطقة، ثمّ ردّة فعل السّاكنة، وما كان من أمر المقاومة، وبهذا تكون تاجموت قد دفعت ثمن موقعها المعزول جزئيا عن طرق الرحلة.

من النقاط التي اعترضت بحثنا ايضا، تلك المتعلقة بالتسمية، فقد حاولنا استجلاء معنى كلمة تاجموت، وترانا في ذلك نستند إلى الروايات الشفوية والتي غالبا ما تجانب الصواب، لتعلقها بالأسطورة تارة، وباللغة الرومانية تارة اخرى، وتجدنا ارجح الرواية الأماريغية لقربها من المنطق والواقعية.

هذا ولا يفوتنا ان انبه الى مسألة مهمة تتعلق بأصل السكان، وأحوال معاشهم وأيامهم، فابن خلدون مثلا يورد ان سكان الاغواط من مغراوة، غير أنّه لم

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

يزر الأغواط إنّما كانت شهادته على السماع فلم يتطرق الى عرب هذه المنطقة ولا إلى أشرافها.

أخيرا كل ما نرجوه ان تكون الرحلة موضوعا للدراسة والبحث لاستجلاء مواطن الغموض والوقوف على الجذور التاريخية لمنطقة الأغواط، ومن ثم رسم المعالم الكبرى لمسالكها وممالكها، ووضع كرونولوجيا توضح المراحل البارزة لتطور جغرافية البلد، الامر الذي سيعطي للبحث التاريخي حول الأغواط إضافة حقيقية.

2- تاجموت ..النشأة والتسمية:

لم تأت المصادر التّاريخيّة على ذكر تاجموت، عدا ما تعلق بالوصف العامّ الذي ورد في كتب الرّحلة، أمّا عمليّات التّوصيف الجزئيّة فقد تناولتها كتب الاستشراق الفرنسيّ مجسّدة في المستكشفين الأوروبّيين غداة الاحتلال الفرنسيّ للبلاد، الأمر الذي يطرح إشكالية صعوبة كتابة تاريخ المنطقة، من منطلق أنّ ما توفر لا يعدو وصفا أوروبيّا للمنطقة، وهو إشكال يتعلّق بالتّخصّص، أي أنّ الذين كتبوا عن تاجموت ليسوا مؤرّخين، هذا العائق يدركه الباحثون في التّاريخ.

ومهما يكن من أمر، فإنّ تاجموت تقع على مسير يوم الى الشمال الغربي من الاغواط[1]، الى الشرق من عين ماضي، وهي مدينة تمتد تاريخيّا الى عصور ما قبل التّاريخ، حيث النقوش الصّخريّة، والقبور الجنائزيّة التي تدلّ على ذلك دلالة واضحة، وقد أضحت فيما بعد نقطة عبور الرّحّالة، دلّ على ذلك وصفهم لها.

ورد إسم تاجموت في العديد من المصادر بألقاب مختلفة، فقد ذكرها ابن الدين الاغواطي بـ "تجمعوت"[2]، وذكرها بعضهم باسم "تجموت"[3] أو"تجمت"[4] ، أو "تاجموت"[5]، يمر عليها وادي مزي الذي يسمى عند الحجيج واد تاجموت كما ذكره

الطيب الفاسي، وما تتداوله السّاكنة شفويّا أن من اسماءها تاجمونت ، وطاقت مانت، ويبدو أن كل تلك الأسماء تحريف للإسم الأصلي تاجموت.

طرح اسم تاجموت عديد الاشكالات بين الباحثين في تاريخ المنطقة، وإذا كان تاريخ ابتداء المدينة ضارب في التّاريخ، فإنّ شح المصادر المكتوبة قد بقي حائلا أمام الدّارسين والمؤرّخين للمنطقة، ويحقّ لنا أن نتساءل ههنا، لم لم يُكتب تاريخ تاجموت؟ ويبدو أن مأساة كتابة تاريخ الجزائر قد انسحبت على تاريخ مدنها، ولم تنج إلّا القلّة القليلة من مأساة الإهمال التي طالت التاريخ الجزائريّ عموما، وتاجموت خصوصا، فالجزائريون لا يحرصون على تدوين تاريخهم -كما يرى الدكتور سعدالله- وهي قاعدة تكاد تنسحب على الجغرافيا الجزائريّة كلّها.

لم تسعفنا المصادر التّاريخيّة العربيّة -كلّها- بمعلومات عن أصل التّسمية، ولذلك فإنّ ما سيأتي من دعوات حول اسم تاجموت إنّما هو ادعاء حفظته الرّوايات الشّفويّة المستقاة من ساكنة البلد، ومن ذلك أنّ أصل التّسمية يعود لملكة بربريّة حكمت المنطقة، وقد كانت تضع تاجا على رأسها، علامة على حكم الاعدام الذي تسلّطه على المدانين، وهي عادة دأبت عليها، لدرجة اقتران ذلك التاج بالموت، فأقتبست منه تسمية "تاج الموت"، ويبدو أنّ الاسطورة مهلهلة من بدايتها، إذ كيف بالبربر يسمون التاج تاجا؟ والموت موتا؟ وهما كلمتان عربيتان! وبالتالي فهي أسطورة حيكت بين السّاكنة على ما يبدو، وليس لها ما يدلّل على وجودها.

ما نقلته المصادر يعزو التّسمية إلى أصول عدّة ، فهي -حسب الرّواية الشّفويّة- تارة " تاجنوت " وتعني بالبربرية " البئر المتسعة و العميقة"، وهو تفسير يبعد عندنا عن الحقيقة، إذ ليس في تاجموت آبار قديمة توحي بذلك، إضافة إلى شذوذ تداول الرّواية بين السّكان، وتارة اخرى فإن تاجموت كلمة بربريّة تعني المكان المرتفع، وهو ما سألنا عنه سكّان القبائل الصغرى الذين أرشدونا إلى هذا المعنى، ويبدو أن هذا التّفسير أقرب للحقيقة، بقرينة أنّ المدينة بُنيت على ربوة تحمي

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

السّكّان من فيضان وادي مزي، ومن الأعداء. وم استقيناه من المصادر الاجنبيّة تخصيصا هي انها كلمة تعني المنطقة المحاطة بالبساتين[6]، وهو معنى يقرب من المنطق، على اعتبار أنّ البساتين تحيط بالقصر على شكل هلال، ولذلك تجد أنّ أغلب سكّانها يسميها "أم الهلال"، تكنية أكثر منها إسما، وقد أورد الشاعر ادريسي البشير بن علي المدعو "بن حلوز" هذا الاسم في قصيدة له منها:

يا حسراه على الدشور نتاوعنا ام هلال الزايخة راها تنسات

وهو يقصد تاجموت بقوله "ام هلال".

ومهما يكن من أمر، فإنّ الرّوايات التي تحكي مبتدأ قصر تاجموت، لا تكاد تتّفق على رواية واحدة فالاختلاف الذي طال مغزى تسميتها كذالك، قد انسحب على نشأة القصر، وعلى أصل السّكّان.

تعزو المصادر تأسيس قصر تاجموت الى سنة 1666م[7]، من قبل اولاد يوسف الذي كانوا يسكنون الاغواط، بالضبط في قصر بدلة أو "بدلاح"، وهؤلاء قد فرّوا من الصّراع هناك، ويبدو أنّ هذا الحكم مبكّر بعيد عن الحقيقة، ذلك أن اقدم وثيقة وصلتنا تذكر قصر تاجموت هي الرسالة التي وجّهها ابو سالم العياشي لاحد تلاميذه المكليدي، مؤرّخة بسنة 1658م، يرسم له فيها طريق الحجّ، من خلال نعوته للطّرق والاماكن التي مرّ بها العيّاشيّ، ومنها تاجموت[8].

وقد ذكر ابن دومة في كتابه "اخبار وادي ريغ"، أنّ مؤسّس إمارة بني جلاب -في تقرت- احمد بن جلاب ذو الأصل المرينيّ، ينحدر من مدينة تاجموت، ذلك أن أسلافه بني مرين قد تفرّقوا في الارض بعدما انقرضت دولتهم، فسكنت طائفة منهم بتاجموت غربي الاغواط، واحمد بن جلّاب قد أسّس إمارة الجلالبة سنة 937هـ/1537[9]، وقد

اسّسها بعد أن رحل اليها من تاجموت، بعد أن أخذ معه قبائل سعيد عتبة من هناك الى تقرت.

وبقرينة أخرى تتعلّق بالولي الصلح سيدي عطاء الله بن العابد الادريسي الحسني، وفي مقاربة لسنّ ولادته، قام بها الاستاذ لخضاري محمود يعود بمولده الى سنة 1570م، وعلى افتراض أنه عاش 85 سنة حسب الرواية الشفويّة السّائدة، فان سنة وفاته ستكون سنة 1657م، وهو مدفون في تاجموت[10].

فواضح كلّ الوضوح من خلال ماسبق، أنّ الذي عاد بتأسيس تاجموت الى تاريخ 1666م، قد خالف واقع الوثائق، وما استقيناه من المصادر وما اشارت اليه تلميحا أو تصريحا، يعود بنشأة القصر الى زمن ابعد من تلك السنة التي أوردها جون ميليا، والتي تواترها السّاكنة، ويبدو أن الذي بناه اولاد يوسف هو جزء من القصر فقط، ذلك أن القصر عرف توسعة مرّات عديدة، وقد تكون توسعة أولاد يوسف واحدة منها.

3- السكّان:

قصر تاجموت مزيج من القبائل والأعراش، تشكّل اليوم ساكنة القصر، ويبدو أنّ إعماره قد تمّ على مراحل، عرفت كلّ مرحلة دخول عرش أو قبيلة جديدة، ويمكن الإشارة الى ان قدم منطقة تاجموت، وما عثر عليه من رسوم ونقوش، وقبور جنائزيّة موجودة الى اليوم، يدلّ قطعا على أنّها عمّرت منذ القديم، والآكيد أن استقرار الانسان القديم لم يكن بالقصر الموجود حاليا بل كان على ضواحيه، حيث تلك القبور، وحسب الشّواهد دائما، فان اختطاط تاجموت قد عرف ثلاث أماكن، والقصر الحاليّ هو الاختطاط الثّالث للمدينة.

واقدم ما يمكن الاشارة إليه بخصوص اصل السكّان، أو ماعبّر عنه الكولونيل ترومللي بـ"بني تاجموت"[11] ، هي وثيقة ابن دومة "اخبار واد ريغ"، التي أصّلت لأحمد بن جلّاب المرينيّ مؤسس إمارة الجلالبة بتقرت سنة 937هـ/1531م، وقد أشار صاحب

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الكتاب أنّ احمد الذي استقرّ بتاجموت، لمّا اراد الانصراف الى تقرت، جلب معه أتباعه من تاجموت، وهم سعيد عتبة وعمر ومخدوم، وقد كان عمر وعتبة أخوان، وكان الكلّ يسكن تاجموت[12]، فيبدو أن أولئك هم السّكّان الأوائل للمنطقة.

واذا استأنسنا بميلاد ووفاة سيدي عطاء الله الحسني الذي دفن بتاجموت سنة 1657م فإنّ أولاده حتما قد استقروا في المنطقة، أو على الاقل جابوا المنطقة وقتذاك، فيكون دخولهم مبكرا للقصر، خصوصا ما طرحته الرّواية الشفويّة التي تقول ان سيدي عطاء الله كان بارّا بخالته "لالة ونزة" المدفونة في المقبرة القديمة بقصر القديم، وانه كان يزورها بين الفينة والاخرى.

هذا وقد أشار جون ميليا، وماري مونج، الى ان أولاد يوسف هم من أنشأ القصر الحالي بتاجموت، ذلك أنّهم فرّوا من الصّراع بين قبيلتي الاحلاف واولاد سرغين بالاغواط، حيث لم يامنوا على أموالهم، فاتجهوا صوب تاجموت، وابتنو القصر الحالي[13]، وهي مرحلة اخرى من مراحل اعمار القصر، الذي تأسّس قبل ذلك كما أشرنا سابقا، ويبدو أن اولاد يوسف هم من قام بتوسعة القصر من جهة الغرب، على اعتبار ان الجهة الشرقيّة أقدم من الغربيّة حسب الرّواية الشّفويّة دائما.

الصّراع ذلك انسحب على ابناء تاجموت، فقد أورد ابن الدّين الأغواطي أن سكان تاجموت ينقسمون الى فريقين، هما السفاين، واولاد محمد، لا يدينون بالولاء لحاكم، يتحاربون فيما بينهم[14]، ولسنا ندري تحديدا سبب النّزاع، ويبدو أنّه بسبب سقي المزارع حيث موقيت السقي لا تُحترم.

ويمكن الاشارة في هذا الصّدد إلى أولاد زيّان الذين استقرّوا المنطقة، فقد أشار ابن ناصر الدّرعيّ الى ان اهل الاغواط استقبلوه، وقد سبقهم لاستقباله

بتاجموت سيدي احمد بن محمد بن ابي زيان[15] ومحمد بن زيّان ذكره فيما بعد محمد بن عبد السلام الناصريّ، وذكر أنّه رجل مسنّ وفقيه من علماء عين ماضي[16]، ولسنا ندري إن كان هو نفسه محمد بن زيان الذي ذكره الدّرعيّ أو أحد أحفاده؟ وهل والده زيّان هو الذي ينسب اليه أولاد زيّان؟

وحسبما تتداوله الرّوايات الشّفويّة، فإنّ محمد بن زيّان كان -مع سيدي الصدّيق الحرزلي دفين تاجموت- من مريدي سيدي عطاء الله، وأنّه مدفون خلف ضريح سيدي عطاء الله، ويبدو أنّ الرّجل من أولاد زيّان، وأنّ أولاد زيّان ينسبون إلى زيّان والد محمد، إذ هم العرش الوحيد المعروف بتلك النّسبة، الأمر الذي يوحي بنسبتهم له.

4- العمارة الدينيّة:

يعدّ من أقدم المساجد ،يعود بنائه إلى القرن الخامس الهجري خلال الزحف الهلالي لبلاد المغرب الأوسط يوجد به محراب يشبه كثيرا المحراب الموجود بمسجد سيدي عقبة ببسكرة وهذا التشابه يظهر جليا ببساطة بناءه وإفتقاره للأشكال الهندسية والفنية المتعارف عليها حيث يتوسط القصر القديم مما يجعل الوصول إليه أمرا سهلا ، وتشير الروايات الشفوية أن الفضل في بنائه يعود إلى شخصين مجهولي الهوية وكذلك الفترة الزمنية التي عاشا خلالها وهما (قدور بن بركة ، وأحمد قندة) فالأول تقول الرواية أنه صاحب قطعة الأرض التي تبرع بها لبناء الجامع أما الثاني فهو الذي أشرف على عملية البناء ويعتمد ناقلوا هذه الرواية على تدعيم المقولة بوجود ضريح في مؤخرة بيت الصلاة ينسب لواحد من هاتين الشخصيتين ، بالإضافة إلى كتابة بخط نسخي رديء غير واضح تعلو مدخل بيت الصلاة يعتقد أنها تخلد إسم البناء .

فلقد جرت العادة أن يخصص مكان قريب من بيت الجامع يدفن فيه الرجل الصالح الذي قام بالتدريس أو الإمامة ويسمى بإسمه الجامع وهو مايتناسب مع ما

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

أورده الدرعي ، حيث إلتقى بتاجموت الإمام أحمد بن بركة وهو رجل طاعن في السن ، ألا يكون الضريح الموجود داخل الجامع للإمام ؟ وأن ورود إسم قدور بن بركة هو مجرد خطأ وقع فيه ناقلوا الرواية وأن القطعة المهداة للجامع هي المساحة التي تتقدم بيت الصلاة والتي أنجزها فيما بعد أحمد قندة [17].

وما يلاحظ أن الجامع غير متساوي الأضلاع وجدرانه غير مستقيمة ومختلفة في سمكها من مكان إلى آخر كما تنعدم به الزوايا القائمة وهي إحدى سمات العمارة الصحراوية يتم الدخول إليه من باب رئيس ذي مصراعين حديديين ، يؤدي بدوره إلى رواق يشغل أحد جوانبه سلم يصعد بواسطته إلى السطح وبالجدار الجنوبي للرواق فتح مدخل يفضي إلى غرفة البئر وبيت الوضوء وفي الجدار المقابل للمدخل الرئيس فتح باب أخر يؤدي إلى بيت الصلاة يعلوه عقد حدوي مدبب يتوسطه هلال كتبت عليه عبارة قندة وتحلي واجهته عناصر زخرفية قوامها شريط مضفور.

يتميز بيت الصلاة بأن طوله أكبر من عرضه حتى يسمح لعدد كبير من المصلين من أداء صلاتهم بالصف الأول وتقدر مقاساتها بنحو 16.21 م في الجدار الشمالي و 18 م في الجنوبي أما عرضه فنحو 15.10 م للجدار الشرقي و15.36 م للجدار الغربي .

تعرض بيت الصلاة إلى إصلاحات وزيادات في الآونة الأخيرة ، فقد أضيف إليه بلاطة في الجهة الجنوبية وتمت إعادة تسقيفه بوسائل محلية وفق نمطها الأصلي ويتكون بيت الصلاة من أربع بلاطات متوازية على جدار القبلة ترتكز بدورها على أربعة عشرة دعامة ، ثمان منها موزعة على مساحة بيت الصلاة أما الست الباقية فهي رصفت في الجدارالشمالي والجدار الغربي تمتاز تلك الدعامات بالخشونة

والقصر وكثرة العدد موازنة بالساحة التي تشغلها مما يبعث على نفوس المصلين جوا من الرهبة والخشوع .

وتعلو الدعامات أقواس تصف دائرية متجاورة ومدببة تنتهي بأسفلها مايشبه الدرجات ويوجد في بيت الصلاة خمس فتحات لتوفير الضوء والتهوية كما يشتمل على اربعة كوات وخزانة حائطية مربعة لوضع المصاحف، وكذلك المحراب الذي لم يراعى فيه قاعدة الوسطية أو المحورية فقد جاء منحازا إلى اليمين في أنحاء الجدار الجنوبي وهي ضرورة أملتها الحتمية المعمارية المتمثلة في قصر المسافة بين المدخل والموقع الذي يجب أن يكون فيه ومن حيث شكله فقد بدا بالمظهر التقليدي المعروف في معظم محاريب المغرب الإسلامي[18].

5- العمارة المدنية:

شُيّد القصر على ربوة صخرية، مقابلة لجهة الجنوب، وبذلك فإنّ الذين شيّدوا القصر كانوا ينهدون الى اتقاء اشعّة الشّمس التي تأتي من الشّرق، ويبدو أنّ الضّرورة الحربيّة استدعت أن يكون القصر على مرتفع، تلافيا للعدو، وتلك عادة بربريّة أساسا، على اعتبار أنّ العرب يفضّلون المناطق المفتوحة المنبسطة.

وقد بنيت المنازل متراصّة متتابعة حتى تبلغ طول نحوا من المئة متر بلا انقطاع،تأتي بعد ذلك أزقّة ضيّقة من الجنوب نحو الشمال تسمح بمرور الدّوابّ، بينما توجد الازقّة الرئيسيّة من الشرق الى الغرب، بهدف وصل بابي القصر بعضهما بعضا، على اعتبار أن للقصؤ بابين، واحد وهو "باب أولاد محمد" جهة الشرق باتجاه الاغواط، والثاني "باب سفاين" من جهة الغرب باتجاه عين ماضي، يعلو كل باب برجان للمراقبة، وهما بابان قد زالا حاليا.

6- الحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة:

ترتكز حياة السّكان اساسا على الفلاحة، فقد ذكرالدرعي ان سكان تاجموت استقبلوه صغارا وصغارا، راجلين وركبانا، ويبدو أنهم على درجة من الكرم وحفاوة

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الاستقبال، وذكر أنهم "..فرحوا بنا ..واظهروا المحبّة.."، وقريتهم جامعة تحوي جنّات وبساتين وفواكه، وقوله "جنات" توحي بعظمة تلك البساتين، ووفرة المياه، وأورد ايضا ان من كرم السّاكنة تقديم اربعة اكباش إكراما لنا[19].

مارس سكان تاجموت صناعة الزّرابي والاقمشة، فقد اورد صاحب "رحلة باي وهران محمد الكبير" سنة 1785م، أن "المخازنية" وهم جنود الباي محمد الكبير، لما دخلوا تاجموت اعطوه العلف ثلاثين حملا، وانهم اشتروا من المخازنية ثمانية رؤوس من لغنم بريال، واربعة رؤوس من البقر بريال، غير انهم لم يدفعوا الدراهم، وانما استعاضوا عنها بالبرانيس والحياك والتمر، مقابل رؤوس الغنم والبقر[20].

اما بخصوص الحياة الثقافيّة بالبلد، فإنّ المصادر لم تسعفنا بأخبار عن ذلك، عدا ما ورد عن الدّرعي الذي أورد أنّ أهل تاجموت أخرجوا لنا ".. إمامهم سيدي أحمد بن البركة.."، وهو رجل مسنّ[21]، الامر الذي يوحي بانه اعلم أهل البلد، ويعطي تصوّرا عن الواقع الثقافي هناك، بيد أن ابن عبد السلام الناصري يورد نصّا يستشفّ منه واقعا ثقافيا على مستوى من النّباهة والفطنة، فقد ورد إليه سؤال من تاجموت، مضمونه حكم القائل جهلا "يخلي بيتك يارب"، وهل قائله مرتدّا؟ وإذا قالته الّوجة، فهل تعدّ ردّة توجب الطّلاق؟ وقد كان جوابه ان كان قائله مخاطبا بني جنسه فلا تعدّ ردّة، وبان كلمة يارب دعاء واعتراض بين الكلام السّابق واللّاحق، وان كان المراد مخاطبة المولى فانها ردّة، وأمّا ان كانت القائلة امرأة فلا تعدّ طلقة على اعتبار ان الطلاق بيد الرجل، وهو الذي يحصل به الطلاق اذا ارتدّ[22].

فواضح مما سبق أن واقع الثّقافة في تاجموت على درجة من المعرفة، دلّ على ذلك طبيعة السؤال المركبّة، والتي توحي بأنّ السّاكنة تدرك ما دون ذلك السؤال، وما هو أعقد منه، وما منعهم من الاستفسار على ما يبدو الا الاستزادة من العلم،

فتفصيلهم لفرضيات الاجابة موح بكفاءتهم العلميّة، يبقى التّساؤل عن سبب وجود عالم واحد حسب ابن ناصر الدرعي، وافتراضا فان تاجموت لم تكن قطبا علميا كعين ماضي والاغواط، ومن المحتمل ان يكون طلبتهم في رحلة علمية هنا أو هناك.

تبقى الاشارة ان المراكز العلمية منتشرة في تاجموت، فالكتاتيب قد لازمت المساجد، وحسب الرّواية الشّفويّة فان بالقصر مدارس معاصرة، منها المدرسة التي درّس بها الشهيد ابن ناصر بن شهرة، ومنها المدرسة التي ابتناها المستعمر سنة 1910م، درّس فيها استاذ يدعى فدوى، ثم تم بناء مدرسة عبو العيد سنة 1953م، وهي قائمة الى اليوم.

قائمة المراجع :

ا-بن الدين الحاج، رحلة الاغواطي، ضمن كتاب رحلات جزائرية، تح: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

- ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي وهران الى الجنوب الصحراوي، تح: محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتاب، مصر، 1969.

- أبو العباس احمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية، تح: عبد الحفيظ ملوكي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، 2011.

- ابو سالم العياشي، رحلة العياشي الحجية الصغرى، الموسومة بـ: تعداد المنازل الحجازية، تح: عبد الله حمادي الادريسي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013.

- أبو عبد الله الطيب الفاسي، رحلة ابي عبد الله الطيب الفاسي، مخطوط مصور بمكتبتي.

- أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، تح: المهدي الغالي، ط1، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، المغرب، 2013.

- اليوسي محمد العياشي، رحلة اليوسي، تح: احمد الباهي، ط1، المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون "بيت الحكمة"، تونس، 2018.

- عكاشة ثروت، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ط1، دار الشروق، مصر، 1994.

- علي حملاوي ، قصر تاجموت، ضمن مجلة الفيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، العدد 304 ، الأردن، 2001-2002.

- محمد الطاهر بن دومة، اخبار وايام واد ريغ، تح: محمد الحاكم بن عون، مذكرة ماجستير تحقيق المخطوط في التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزئر، 2010-2011.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

- محمود الأخضاري، الولي سيدي عطاءالله بن العابد -تاريخ رحلة-، ط1، مطبعة رويغي، الاغواط، الجزائر، 2017.
- J.Mélia: laghouat ou les maisons entourées de jardins, plon nour it, paris, 1923.
- Colonel c.trumeletM hisyoire de l'insurrecton dans le sud, typographie adolphe jourdan, alger, 1879.
- General Marey:Expediion de laghouat,imprimerie A.bourget, rue sainte NO 1,PARIS, 1846.
- LE M. LE LIEUTENAT-COLONEL DAUMAS:LE SAHARA ALGERIEEN,PARIS,1845.
- PAUL SOULEILLET: L'AFRIQUE OCCIDENTALE,ALGERIE,MZAB,TILDIKELT,PARIS,1877.

التهميش

[1] ابن الدين الحاج، رحلة الاغواطي، ضمن كتاب رحلات جزائرية، تح: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 88.

[2] ابن الدين الحاج، نفسه، ص 88.

[3] أبو العباس احمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية، تح: عبد الحفيظ ملوكي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، 2011، 132. أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، تح: المهدي الغالي، ط1، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، 2013، المغرب، ص 205/1، 906/2. أبو عبد الله الطيب الفاسي: رحلة ابي عبد الله الطيب الفاسي، مخطوط مصور بمكتبتي، ظهر ورقة رقم 31 ، ظهرالورقة رقم 131. LE M. LE LIEUTENAT-COLONEL DAUMAS:LE SAHARA ALGERIEEN,PARIS,1845,P 28.

[4] ابو العباس ابن ناصر الدرعي، مصدر سابق، ص 719. اليوسي محمد العياشي، رحلة اليوسي، تح: احمد الباهي، ط1، المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون "بيت الحكمة"، تونس، 2018، ص 76.

[5] ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي وهران الى الجنوب الصحراوي، تح: محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتاب، مصر، 1969، ص 68.

[6] PAUL SOULEILLET, L'AFRIQUE OCCIDENTALE,ALGERIE,MZAB,TILDIKELT,PARIS,1877 ,P30.

[7] J.Mélia, laghouat ou les maisons entourées de jardins, plon nour it, paris, 1923, p 221. General Marey:Expediion de laghouat,imprimerie A.bourget, rue sainte N^{O} 1,PARIS, 1846, p38.

[8] ابو سالم العياشي، رحلة العياشي الحجية الصغرى، الموسومة بـ: تعداد المنازل الحجازية، تح: عبد الله حمادي الادريسي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013، ص 86.

[9] محمد الطاهر بن دومة، اخبار وايام واد ريغ، تح: محمد الحاكم بن عون، مذكرة ماجستير تحقيق المخطوط في التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزئر، 2010-2011، ص 103، 105، 108.

[10] **محمود الأخضاري، الولي سيدي عطاءالله بن العابد -تاريخ رحلة-، ط1، مطبعة رويغي، الاغواط، الجزائر، 2017، ص184.**

[11] Colonel c.trumelet, hisyoire de l'insurrecton dans le sud, typographie adolphe jourdan, alger, 1879, p84.

[12] محمد الطاهر بن دومة، مصدر سابق، ص 103- 105، 108.

[13] J.Mélia, laghouat ou les maisons entourées de jardins, plon nour it, paris, 1923, p 221. General Marey:Expediion de laghouat,imprimerie A.bourget, rue sainte N^{O} 1,PARIS, 1846, p38.

[14] ابن الدين الاغواطي، مصدر سابق، ص 88.

[15] أبو العباس احمد بن محمد بن ناصر الدرعي، مصدر سابق، ص 132.

[16] أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، مصدر سابق، 203/1.

[17] علي حملاوي ، قصر تاجموت، ضمن مجلة الفيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، العدد 304 ، الأردن، 2001-2002، ص 19-21.

[18] عكاشة ثروت ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ط1، دار الشروق، مصر، 1994، ص 65.

[19] ابن ناصر الدرعي، مصدر سابق، ص 132.

[20] ابن هطال، مصدر سابق، ص 69-70.

[21] ابن ناصر الدرعي، مصدر سابق، ص 132.

[22] ابن عبد السلام الناصري، مصدر سابق، 906/2.